في تكريم الأستاذ محمد الفاسي

تحيّة

لِلّــهِ مَـــا أنْجَبَت فَـــاسٌ ! وَمَـــا تَلِـــدُ
مِنْ أنْجُـمٍ فِي سَمَـــاء المَجْـــدِ تَتَّقِـــدُ
أكْـــرِمْ بِهَـــا وَبِمَنْ كَـــرّمْتُمُـــوهُ بِهَـــا
فِي بَيْتِـــهِ العِلْمُ لَمْ يَنْضُـب لَـــهُ مَـــدَدُ
بَيْتُ الـــوِلاَيَـــةِ وَالإشْعَـــاعِ مَـــا انْطَفَأت
أنْـــوَارُهُ أوْ هَـــوَتْ يَـــوْمـــاً لَـــهُ عَمَـــدُ
تَفَتَّحَت عَنْـــهُ فَـــاسٌ فِي مَسِيـــرَتِهَـــا
نَبْعـــاً مِـنِ العِلْمِ يُـــرْوِي كُلَّ مَـنْ يَـــرِد
وَمَـــا المُكـــرَّمُ إلاّ مِنْ أزَاهِـــرِهَـــا
غَـرْسٌ زكَـا فَـزَكَـا كَـالـوَالِـدِ الـولَـدُ !
شَمَـــائِلٌ زَانَهَـــا عِلْمٌ وَمَـــوْهِبَـــةٌ
وَالمَعِـيُّ خَصيبُ الفِكْـــــرِ مُعْتَمَـــــدُ
قَـــرَّتْ بِـــهِ عَيْنُ فَـــاسٍ بَيْنَ فتيتهَـــا
بَلْ كَـانَ فَـــوْقَ الـذِي تَـرْجُـــو وَتَعْتَقِـدُ
لَـــهُ بِكُـلِّ نَـــوَادِي الفِكْـــرِ مَـأثُـــرَةٌ
وَفَـــوْقَ أعْلَى كَـــرَاسِـــي العِلْم مُقْتَعَـــد !

بَـذَّ الشبَـــابَ نَشَـاطـــاً وَهْـوَ فِـي عُمُـرٍ
يَـــرْتَـــاحُ فِيهَـــا مُجِـــدٌّ عُمْـــرُهُ كَبَـــدُ
أكْـــرِمْ بِهَـا رِحْلَـــةً فِي العِلْـمِ خَـالِـــدَةً
قَـــدْ بَـــوَّأتْكَ مَقَـــامـــاً بَيْنَ مَنْ خلـــدُوا
وَمَـــا الحَيَـــاةُ بِـــلاَ مَجْـــدٍ تَخلُّفُـــهُ
إلاَّ مَـــوَاتٌ وَبَيْتٌ مَـــالَـــهُ وَتِـــدُ
وَالمَعْـــدِنُ الحُـــرُّ لاَتَخْفَى أصَـــالَتُـــهُ
وَإنْ عَـــلاَ فَـــوْقَ دُرٍ كَـــامِنٍ زَبَـــدُ !
وَفِي حَيَـــاتِكَ لـــلأجْيَـــالِ مَـــدْرَسَـــة
يَحْمِـي تَفَتحهَـــا دِيـنٌ وَمُعْتَقَـــــدُ
فَلَسْتَ مَنْ جُـنَّ بِـالمَـاضِي فَقَـدَّسُـهُ
وَلَسْتَ مَنْ عَـانَقَ التّجْـدِيـدَ فَـابْتَعَـدُوا !

* ● *

ذَكَـــرْتُ أيَـــامَكَ الحُسْنَى بِجَـــامِعنَـــا
وَالبَـــدْرُ فِي اللّيْلَـــةِ الظَلْمَـــاء يُفْتَقَـــدُ !
ذَكَـــرْتُهَـــا اليَـوْمَ مِـنْ خَـوْفِـي عَلَى قِيَمٍ
ان لاَتُصَـــانَ وَأنْ تَعْـــدُو عَلَيْهَـــا يَـــدُ !
أيَـــامُكَ البِيـضُ فِيهَـــا جَـــدَّدت وَهجـــاً
قَـــدْ انطَفَـــا وَاسْتَقَـــامَ السيَّـــرُ وَالأوَدُ

فَهَلْ لِتِلْـكَ اللّيَـــالِـي أنْ تَعُـــودَ وَهَلْ
يَـاتِي بِمَـــا يَشْتَهِيـهِ الخَـالِفُـونَ غَـدُ ؟
عَـــرَفْتُ فِيكَ الغِـدَائِيّ الـــذِي شَـــرِفَت
بِـــهِ السُجُـــونُ وَلَمْ يَضْعُف لَـــهُ جَلَـــدُ
وَفِي طَلِيعَـــــةِ مَنْ خَطـت أنَـــــامِلُهم
وَثِيقَـــةَ النّصْـــرِ وَالعُـــدْوَانُ يَـــرْتَعِـــدُ
وَمَنْ تَحَـــدّى وَلَمْ يَـــرْكَعْ لِطَـــاغِيَـــةٍ
وَكَـانَ أصْـــدَقَ مَنْ وَفَّـوْا بِمَـــا وَعَـدُوا !

* ● *

كَـــرّمْتَ شَعْبـاً يَـــرَى فِي العِلْمِ عِـزَّتَـــهُ
فَكَـــرمتك بَنُـــوهُ اليَـــوْمَ وَاحْتَشَـــدُوا
فَـــاهْنَأ مُحَمَّـــدُ بِـــالحُبِ الـــذِي طَفحَت
بِـــهِ القُلُـــوبُ وَبِـالعُـرْسِ الـــذِي شَهِـدُوا
وَمَـــا أرَاكَ سَتُلْقِي بَعْـــدَ طُـــولِ سُـــرَى
عَصَـــاكَ أوْ فِي العَطَـا يَوْمـاً سَتَقْتَصِـدُ !
فَـــالسـنُّ عِنْـــدَكَ وَهْمٌ لاَ وُجُـــودَ لَـــهُ
وَالعَيْشُ دُونَ عَطَـــــاء عَيْـشُ مَنْ وُئِدُوا
فَبَـــارَكَ اللَّـــهُ عُمْـــراً أنْتَ لاَبِسُـــهُ
ثَـــوْبـــاً إذَا رَثَّ حَلَّت بَعْـــدَهُ جُـــدُدُ !

وَلاَ خَلَت مِنْـكَ أعْـــرَاسٌ تَـــــزينُهَـــا

عِمَـامَـةٌ كَـالقَـذَى فِي عَيْنِ مَنْ حَقَـدُوا !

تَلُـوحُ وَجْهَـــا مُضِيئـاً فِـي مَنَـابِـــرِهَـا

تَـــدْعُـــو وَتَخْطُـبُ أوْ تُصْغِي وَتَنْتَقِـــدُ !

حَسْبُ البَلِيـغ إذَا وَفَّـــاكَ تَكْـــــرِمَـــةً

بَيْتٌ مِـنَ الشِعْـــرِ لَمْ يَلْهَـج بِـــهِ أحَـــدُ

فَلَيْسَ طُـــولُ القَـوَافِـي مِن مَحَـاسِنِهَـــا

وَلاَ البَـــلاَغَـــة فِـي أنْ يَكثُـــر العَـــدَدُ !

تَـــرَكْتُ فَـاســـاً وَقَلْبِي مَـــا يَـزَالُ بِهَـــا

رهنـاً وَإنْ غَـــابَ عَنْ جنَّـاتِهَـــا الجَسَـدُ

وَإنْ نَأيْـتُ فَإنِّـي مِن هَـــــوَاي بِهَـــــا

وَمن وَفَـــائِي ذَاكَ الطَّـــائِر الغَـــرِدُ !

تَحِيَـــة الشِعْـــر أهْـــدِيهَـــا إلَيْكَ وَلَـــوْ

وَجَـــدْتُ أثْمَـنَ لَمْ أبخل بِمَـــــا أجِـــدُ